

الفاطميّات... النشأة والتطور  
حتى القرن السابع الهجريّ

**Al-Fatimyat**  
**Evolution and Development**  
**to the Seventh Century Hegira**

أ.د. عليّ كاظم محمد عليّ المصلاوي

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

**Prof. Dr. Ali K. M. Al-Maslawi**

Department of Arabic

College of Education for Humanist Sciences

University of Karbala

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي

Turnitin - passed research



## ملخص البحث

حاولنا في هذا البحث أن نسلط الضوء على مسيرة الشعر الذي خصَّ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد أن لمسنا دوراً مهماً لها في بنية تلك الأشعار، إذ شكَّلت بؤرة موضوعية وفنية فيها، الأمر الذي جعلنا نحاول تقصي تلك الأشعار في منظومة الشعر العربي لمعرفة الثيمات المركزية التي اشتملت عليها، وموقف الشاعر فكرياً وعقائدياً وفنياً وكذلك شعورياً وانفعالياً تجاه كل ما يخصُّ تلك السيدة الجليلة. وقد أفرز لنا البحث في القرون السبعة الهجرية مجموعة من القضايا الموضوعية والفنية خصَّت تلك الأشعار كانت جديرة بالتوقف عليها ومحاورتها ومعرفة دلالاتها المضمرة التي خبأتها في تراكيبها وصورها.

## ABSTRACT

It is endeavored in the present study to throw light on the path of poetry that allots great space to Sayadat. Fatima Al-Zahrah (Peace be upon her). As it is quite evident that there is so great a role for her in the structure of poetry. Such forms an artistic and objective pivot, that is why it is to trace the poetry in the orbit of Arabic one to fathom the central themes and the stance intellectual, doctrinal, artistic, emotional and passionate of the poet toward such a glorified lady. The paper exposes, throughout the seventh century, a constellation of artistic and objective issues for these poems worth tackling and explicating for its implicit connotations in the structure and images.

## مدخل تعريفي

يمكن تعريف الفاطميات<sup>(١)</sup> بأنها القصائد أو الأشعار التي خصّت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفيها ذكر مناقبها ومنزلتها، وصفاتها، وأخلاقها، وشفاعتها، ودورها في حركة التاريخ الإسلامي بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وما عانته من سلب لحقوقها، وحقوق زوجها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في خلافة المسلمين، وما جرى عليها من حوادث يندى لها جبين الإنسانية إلى أن وافتها المنية ولما نزل في ريعان شبابها، وفي قلبها غصة وفي جسمها آلام وآثار، كل هذه الأمور وغيرها يصورها الشاعر بحسب ما تملي عليه مشاعره وأحاسيسه تجاه هذه السيدة الجليلة عليها السلام وما يكنه من حبٍّ ولائي لها، وحزن على مصائبها وما ألمَّ بها، وطمع في شفاعتها، وتقرب إلى الله تعالى وغفران للذنوب، وقضاء للحوائج الدنيوية والأخروية بذكرها عليها أفضل التحية والسلام.

ولعل هذا المصطلح (الفاطميات) مشهورٌ متداول ولكن ليس بهذه الخصوصية التي يطرحها البحث، فنحن نجد هذا المصطلح يطلق على النساء اللواتي التزمن أو يراهنَّ الالتزام بسيرة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وما أثر عنها من أخلاقيات وسلوكيات إسلامية رفيعة جدير بالمرأة أن تقتدي بها.<sup>(٢)</sup>

ونجد رديفاً لهذا الجمع وهو (الفواطم) قد تداوله مؤرخو السير والتاريخ، وقد اطلق على مجموعة من النساء اللاتي تسمينَ باسم فاطمة مثلما روي عن النبي قوله: ((انا ابن الفواطم))<sup>(٣)</sup>، وكذلك عرف عن الإمام علي عليه السلام اصطحابه للفاطميات أو (الفواطم) من مكة إلى المدينة بعد هجرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.<sup>(٤)</sup>

وكذلك أطلق تسمية (الفاطميات) على نسق ولائي ينادي بمظلومية فاطمة الزهراء عليها السلام سواء أكان بإنشاد الأشعار والقصائد الشعبية أم بالحزن والبكاء وإقامة الشعائر الشيعية المعروفة في مثل هذه المناسبات.

إن الخصوصية التي تمتعت بها هذه السيدة الجليلة عليها السلام في وجدان الشيعة وعقائدهم متأتية من إنها الامتداد الوحيد لخاتم الأنبياء والمرسلين عليه السلام، وزوجة وصيه وابن عمه وأخيه عليه السلام، ووالدة سبطيه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام؛ بل هي عليها السلام تمثل أكبر من هذا كله فهي (أم أبيها)<sup>(٥)</sup> بكل ما تحمل هذه العبارة من خصوصية وإذا كانت أمًّا لأبيها فكيف لا تكون أمًّا لجميع الذين يؤمنون بها؟ وتمثلت، منزلتها السامقة أيضاً في قوله عليه السلام: ((فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي))<sup>(٦)</sup>. وقال عليه السلام أيضاً: ((نَمَّا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِنِي مَا آذَاهَا وَيَنْصُبَنِي مَا أَنْصَبَهَا))<sup>(٧)</sup>. وقال عليه السلام لفاطمة ((إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ لِعُضْبِكَ))<sup>(٨)</sup>.

يتضح من هذه الأحاديث أن الرسول عليه السلام يستشرف ما سيجري على ابنته المقدسة على أيدي المنقلبين على الله ورسوله عليه السلام وما جاؤوا به من حقٍّ وهداية للمسلمين والناس كافة. لذا كانت منزلة فاطمة عليها السلام عظيمة ومقدسة عند جميع المسلمين بوجه عام والشيعة بوجه خاص إذ جاء تعاملهم بعدها مقدساً سامياً في دنيا ظلمتها ولم تعطها إلا الحزن والألم، فما كان من الشيعة إلا أن يتخذوها رمزاً حساساً لمظلوميتهم الكبرى يستلهمون منه الصبر العظيم والتحدي الكبير للناصبين لهم الحرب والعداء طوال السنين وما زالوا.

## الفاطميات في العصر الإسلامي

بالنظر إلى المنظومة الشعرية العربية للبحث عن أولويات الأشعار التي قيلت في حقِّ فاطمة عليها السلام، أو تلك التي أشارت إليها في سياقات معنية فإننا نجد لها ذكراً فيها روى المجلسي في بحاره عن جابر - ولعله الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري - في خبر زفاف فاطمة عليها السلام على علي بن أبي طالب عليه السلام، وكيف قامت نساء النبي صلى الله عليه وآله قدامها يرجزن في حقها وحقَّ أبيها وبعلمها عليها السلام، وروى أربع مقطعات أبرزها وأشهرها ما قالته حفصة، إذ قالت<sup>(٩)</sup>:

فاطمة خير نساء البشر	ومن لها وجه كوجه القمر
فَضَّلِكِ اللهُ على كل الوري	بفضل من خصَّ بأي الزمر
زَوَّجَكَ اللهُ فتىً فاضلاً	أعني علياً خير من في الحضُر
فسرنَ جاراتي بها فإيَّها	كريمة بنتُ عظيم الخطر

وهذه الأراجيز إن صحَّت روايتها فأنها تمثِّل بداية الفاطميات في الشعر العربي. ونلاحظ عليها أنها أشعار نسائية قيلت في مناسبة زواج، ومن الطبيعي أن نتلمس في مثل هذه الأشعار نوعاً من التصريح والمكاشفة لأنها صادرة من امرأة إلى امرأة أخرى تربطها رابطة ما كالقراية والنسب... لذا نجد تصريحاً بالاسم والصفات والمزايا التي تتمتع بها السيدة الزهراء عليها السلام مما يعني أن صورتها انكشفت في عيون النساء اللاتي جئن للاحتفال والاحتفاء بزواجها الميمون.

ولكن هذا الأمر يختلف تماماً حين نفتش في الأشعار أو القصائد التي خصَّت الرسول صلى الله عليه وآله في صدر الإسلام كأشعار حسان بن ثابت وغيره فإننا لا نجد للسيدة الزهراء عليها السلام ذكراً صريحاً أو إشارياً لها، ويمكن تعليل ذلك بالقول: إن العرب كانت تتحرَّج أو تجدد أن من غير المناسب في أعرافها ذكر المرأة المصونة في أشعارهم وبخاصة

إذا كانت من بيت عزٍّ وشرف. هذا من جهة ومن جهة أخرى أهم هو انبهار المسلمين بشخصية الرسول ﷺ الفذة وما حققه من إنجازات غيرت من واقع الجزيرة العربية بوجه عام، وقيام الشعراء بمدحه والدفاع عنه وعن مشروعه الإلهي في نشر الإسلام في عموم العالم، وتسجيل انتصاراته في حروبه ومغازيه، كل ذلك نجده شاغلاً عن ذكر ما أنجب، وبخاصة أنها بنت وليست ولدا، ومعروف عن المجتمع العربي أنه مجتمع ذكوري، وقد كبرت البنت المباركة وزوجها أبوها الرسول ﷺ من ابن عمه علي بن أبي طالب ﷺ المعروف بشجاعته وإخلاصه له ولمشروعه الإلهي؛ كل هذه الأسباب كانت صارفاً لهم عن ذكرها في أشعارهم في ذلك الوقت ولكن تبدأ المفارقة بعد وفاة الرسول ﷺ إذ تظهر فاطمة ؑ في سير الأحداث التاريخية المهمة، فقد طالبت بحقها في إرث أبيها كما تزعم الأمة، ومطالبتها أيضا بحق زوجها علي بالخلافة التي أقرها الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ في يوم الغدير وبايعه الناس يوم ذاك بالولاية؛ وجاءت هذه المطالبات بصورة علنية في خطبتها العشاء المشهورة في المسجد النبوي، ولكن ما من سامع أو مستجيب لها؟ وفوق ذلك حوربت في بكائها على أبيها، وإلحاحها في المطالبة بحقوقها إلى أن جرى عليها ما جرى من ظلم وجور، وتوفيت وشيعها الإمام علي وأهل بيته ﷺ، وثلة من أصحابه الأخيار تحت جنح الظلام، ولم يُعرف الإمام علي محل قبرها المقدس ليكون حجّة بالغة على ظلمها واغتصاب حقها، على وفق وصية أوصته بها.

من هنا أصبح التحول والانتماء، فكان الشاعر المحب للرسول ﷺ ولأهل بيته والمقرُّ والمؤمن بحقوقهم يمدح الرسول ﷺ ثم يعرِّج على مدح أهل بيته ﷺ، وهذه السُنّة في الخطاب أسسها الإمام علي ﷺ في كثير من خطبه التي أضحت «من أصول المدائح النبوية»<sup>(١)</sup>، ولا غرابة في هذا الأمر الذي نجده طبيعياً من ناحية أحقية الامتداد الطبيعي والرسالي له ﷺ ولأولاده من رحم فاطمة ؑ بنت

الرسول محمد ﷺ؛ وكان يوصل بذلك رسالة واضحة إلى أعدائه ومناوئيه مدعومة بحُجَّة الانتفاء والامتداد الذي لاشكَّ فيه ولا لبس، لذا مثلَّ هذا الصوت اتجاهاً وانتفاءً واضحاً ومخالفاً في الوقت نفسه اتجاهاً آخر مثله من غصَب حقِّ فاطمة (عليها السلام)، وتنكَّر لوصايا الرسول ﷺ وعادى علياً (عليه السلام) وسلبه ولاية المسلمين، وامتدَّ عداؤه لأولاده ومحبيه. فكان الشاعر ذو الانتفاء العلوي<sup>(١١)</sup>. يمدح الرسول ﷺ ثم يعرج على مدح أهل بيته في الوقت الذي خُفَّتْ صوت مدح الرسول عند جلِّ الشعراء الآخرين الذين مثلوا الطرف الآخر. «ويمكن القول بأنَّ مدح الفرزدق للنبي ﷺ وأهله (عليهم السلام) هو بداية الصدق في المدائح النبوية، ذلك بأنَّ مدائح حسان وقعت في أيام كان مدح النبي ﷺ فيها ينفع الشاعر ولا يضره. أما مدح النبي ﷺ وأهله (عليهم السلام) في أيام الفرزدق فكان باباً من الشرِّ يفتح للمادحين، لأن تلك المدائح ما كانت تروق خلفاء بني أمية، وكيف تروقهم وهي تزكية (لخصومهم) لقد أصبحت أقوى حجة عند خصوم بني أمية، قرابتهم من الرسول ﷺ فلا بدع أن يكون مدح الرسول ﷺ تنويهاً بشأن أولئك المعارضين»<sup>(١٢)</sup>. إذ كان مدح الرسول ﷺ وأبنائه (عليهم السلام) في نظر حاكم بني أمية ضرباً «من التمرُّد والشغب والخروج على الدولة»<sup>(١٣)</sup>.

وهذا السبب نراه حقيقياً وواقعياً وليس ما علله الدكتور محمود علي مكي حين قال مبرراً عزوف المسلمين عن مدح الرسول ﷺ في ذلك الوقت بقوله: «لم يعن ذلك ضعفاً في الإيمان، ولا تراجعاً في نظرة الإجلال، التي كان المسلمون ينظرون بها إلى شخصية النبي ﷺ، وإنما شغلت المسلمين أحداث كبرى...»<sup>(١٤)</sup>. ثم يوجز فيقول: «فقد صرفتهم عن ذلك السياسة والعصبيات والتكسب بالشعر، أو أغراض دنيوية أخرى مثل الغزل بأنواعه. أما سيرة الرسول ﷺ فلم تعد مما يهتم به الشعراء إلا فيما يخدم الأغراض الأخرى التي ينظمون فيها، وإنما توفَّرَ عليها العلماء من فقهاء أو محدثين أو مؤرخين»<sup>(١٥)</sup>. ثم يستدرك بعد حين فيقول: «ولكننا لا نرى من بين

الشعراء من اتخذ هذه السيرة موضوعاً رئيساً يتوفر عليه. ولعل أكثر الشعراء ارتباطاً بشخصية الرسول واستلهاماً لها هم شعراء الشيعة...»<sup>(١٦)</sup>.

ومن هذا نستنتج أن شعراء المذاهب غير الشيعة انقطعوا عن النبي ﷺ لأنهم انشغلوا بأموال الدنيا، وزهدوا في الرسول ﷺ وما قام به من أجل إحياء قلوبهم الميتة، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ولكنهم انقلبوا على أعقابهم من بعده فكانوا هم المرتدين عنه وعن أهل بيته. أما الشعراء الشيعة فهم من واصل خط الرسول ﷺ، ولم يمنعهم مانع أو حاجز عنه، وكانوا يجاهرون في حبهم وانتمائهم عملاً بحديث الرسول ﷺ: ((يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي))<sup>(١٧)</sup>.

ولكن الدكتور محمود علي مكي يعود ليسند ما قام به الشعراء الشيعة إلى أن لهم مآرباً من وراء مدحهم للرسول ﷺ في العصر الأموي وصولاً إلى العصر العباسي وهو الخلافة واغتصابها من أهل بيت الرسول ﷺ متمثلة بالإمام علي عليه السلام ونسله من بعده... وقد اقتضى هذا الشعر في أهل البيت عمومًا والحسين عليه السلام على وجه الخصوص «إشارات عديدة إلى ملامح من حياة الرسول ﷺ ولا سيما في صلواته بربيبه وابن عمه ووصيه عليه السلام في نظر الشيعة، وبابنته فاطمة عليها السلام زوج علي عليه السلام، وسبطيه منهما، الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة»<sup>(١٨)</sup>.

الواضح أنه يحاول أن يشوه الحقيقة ولا يعطيها حَقَّها الصحيح، وبتخرجه هذا تساوى الشيعة مع غيرهم من المذاهب الأخرى في أن لهم مقاصد دنيوية سياسية وهي الحكم والخلافة، فلم يكن مديحهم للرسول ﷺ وتمسكهم به إلا وسيلة تمكنهم من مشروعية المطالبة بالخلافة. وهذا ما يرفضه الواقع والتاريخ.



فالشاعر يؤكد النسب الشريف للإمام الحسين عليه السلام ولا أقرب من أن يكون ابن بنت الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وتصريحه باسمها عليها السلام جاء ليزيد ما في قلبه من مرارة وألم وندامة حيث تناوشته الأعداء، وغدر به الغادرون، ولم يكونوا معه ليذّبوا عنه وينصروه، ويؤكد ما ذهب إليه بقوله في القصيدة نفسها مخاطباً أصحابه:

تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم      بأسيا فهم آساد غيل ضراغمه  
فان يُقتلوا فكلُّ نفس تقيةٌ      على الأرض قد أضححت لذلك واجمه

فالحسين عليه السلام الامتداد الطبيعي لرسالة السماء، فأمه فاطمة عليها السلام، وجدته الرسول صلى الله عليه وآله، ويضمّر الشاعر من وراء تصريحه وإعلانه هذا القول بأن الذين قتلوا الحسين عليه السلام ليسوا من الدين في شيء ولا ينتمون إلى الإسلام الذي جاء به جده خاتم الرسل والأنبياء صلى الله عليه وآله فكيف يكونون مسلمين ويقتلون ابن بنت نبيهم صلى الله عليه وآله؟ انها مفارقة يطرحها الشاعر بتصريحه بأن الحسين عليه السلام ابن فاطمة عليها السلام وفاطمة عليها السلام هي بنت الرسول صلى الله عليه وآله الوحيدة.

أما عند الكميت بن زيد الأسدي (ت ١٢٦هـ)، فاننا نجد ذكر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يأتي من طريق محاججته الخصوم في أمر وراثتها أباهما النبي المرسل صلى الله عليه وآله وهو يقول<sup>(٢١)</sup>:

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا      ألوم يوماً أبا بكر ولا عمرا  
ولا أقول وإن لم يعطيا فداً      بنت النبي ولا ميراثه كفرا  
الله يعلم ماذا يأتيان به      يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

فالشاعر هنا يصرح بأن أبا بكر وعمر لم يعطيا حق فاطمة الزهراء عليها السلام وهي بنت النبي صلى الله عليه وآله الوحيدة فداً من ميراث أبيها صلى الله عليه وآله، ولكن هذه المسألة على خطورتها

وتداعياتها لا تبيح له أن يتهمها بالكفر فهذا شأن لا علم له به إلا الله، فهو الذي يحاسبهما على هذا الأمر يوم القيامة.

والظاهر أن هذه الأبيات تمثل ردّ فعل على اتهام خصوم الكميت له بتكفير الشيخين، فقد ألحّ في أشعاره على هذه المسألة المادية وهي (اغتصاب فديك)، وعلى المسألة المعنوية الأهم وهي (اغتصاب الخلافة) من أهل البيت عليهم السلام، ومن ذلك قوله في إحدى هاشمياته الشهيرة <sup>(٢٢)</sup>:

يقولون لم يُورث، ولولا تراثه      لقد شَرِكْت فيه بكيْل وأرحبُ  
ولانتشلت عُضوين منه يُجَابِرُ      وكان لعبد القيس عضو مؤرَب  
فإن هي لم تصلح لحيّ سواهم      إذا فذوو القربى أحقُّ وأقربُ

والحجّاج واضح على هذه الأبيات «ومعنى هذا بالقياس المنطقي أن بني أمية يدعون أن النبي صلى الله عليه وآله لا يورث، فكيف استأثروا هم بالخلافة؟ إن الخلافة إذا حقّ لكل عربي مسلم، فمن حق قبائل قحطان وقبائل عدنان أن تطالب بنصيبها منها. والنتيجة المنطقية لهذا أن النبي صلى الله عليه وآله يورث، فإذا كانت وراثته صلى الله عليه وآله هي الحق الذي لا محيد عنه، فليس الأمويون هم الورثة وإنما العلويون هم الورثة، لأنهم أقرب إليه» <sup>(٢٣)</sup>. والواضح أن هناك وراثتين قد انصهرتا في وراثته واحدة، الوراثة المادية وهي ما وهبه الرسول صلى الله عليه وآله من أرض زراعية معروفة ب (فديك) لابنته فاطمة عليها السلام؛ ووراثة معنوية وهي وصاية الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام زوج ابنته وابن عمه بالخلافة. وهاتان الوراثتان قد صرحت بهما الزهراء عليها السلام في خطبتها الشهيرة في المسجد النبوي، وقد حاججت القوم بأسلوب رفيع وقد وجهت خطابها لهم بقولها: ((وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا)) <sup>(٢٤)</sup>. وقد جاءت (لا) النافية للجنس في هذا السياق لتدل على نفي «أحقية الإرث لعموم أهل الزهراء عليها السلام والمعنيون هنا أهل البيت عليهم السلام

لتجريدهم من كل مورد اقتصادي. ولما كانت (أن) تأتي لتأكيد الإثبات والمبالغة فيه. فإنها في سياق النص هنا تؤكد مزاعم القوم في سيرهم قدماً في تجريد آل البيت عليهم السلام من حقهم الاقتصادي المتمثل في توريث فدك إلى السيدة فاطمة عليها السلام (٢٥).

لقد أسقطت فاطمة الزهراء عليها السلام أقنعة القوم بما قدمت لهم من حجج قرآنية، وما عرضته من أحداث واقعية، وما أكدته من أمور يحاولون تجاهلها وإغفالها؛ ولكنهم كانوا عازمين على ردّها ومحاربتها حتى لو اضطروهم إلى الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وهذا ما فعلوا فقد كان «ذلك الحكم الذي خرجوا به عن النص القرآني متمثلاً بقطع أي مورد اقتصادي لبيت آل الرسول صلى الله عليه وآله يمكن أن يعينهم على استرداد الحكم بوصف العامل الاقتصادي عصب إقامة الدول ومورداً مهماً لديمومتها» (٢٦). كان هذا الحكم مستشفاً من كلامهم معها وكلامها معهم.

الأهم أن هذه الخطبة بتفاصيلها الحجاجية قد احتفظت بها الذاكرة الشيعية، وراحت ترددها في مجالسها الخاصة، ولا شك بعد ذلك من أن يأتي الكميّ وغيره من الشعراء الشيعة لينتهج هذا النهج الحجاجي في أشعاره؛ فقد مهّدت السيدة الجليلة عليها السلام هذا الدرب لسالكيه، وزودتهم بما امتلكت من ثقافة قرآنية نبوية بآليات الخطاب الحجاجي في مقارعة الخصوم وتشبيث الحجة عليهم.

### الفاطميات في الشعر العباسي

نجد هذه المقارعات الحجاجية في العصر العباسي أيضاً، فقد أخذت قصة الوراثة إبعاداً أكبر، فبعد أن كان الصراع بين بني هاشم وبني أمية وهما من قريش، أصبح الآن بين العلويين والعباسيين وهما من بني هاشم. ونجد شاعر العباسيين مروان بن أبي حفصة (ت ١٨٢هـ) يلحّ على هذه المسألة إلحاحاً يتجلى فيه عمق

الصراع الدائر وحدته «ولعل شاعراً لم يبلغ في هذا الدفاع مبلغه، إذ كان يعرف كيف ينقضُّ على العلويين بالحجة القاطعة...»<sup>(٢٧)</sup>. فهو «يحتج للعباسيين بأنهم عصابة النبي ﷺ، فهم ورثته، وليس لأبناء فاطمة (عليها السلام) أن يرثوه»<sup>(٢٨)</sup>، وهو القائل في مدح المهدي العباسي<sup>(٢٩)</sup>:

يا بنَ الذي ورثَ النبيَّ محمداً      دونَ الأقاربِ من ذوي الأرحامِ  
الوحيُّ بين بني البناتِ وبينكم      قطعَ الخصامَ فلاتِ حينِ خصامِ  
ما للنساءِ مع الرجالِ فريضةٌ      نزلتُ بذلكِ سورةُ الأنعامِ  
أنتى يكونُ وليسَ ذاكِ بكائنٍ      لبني البناتِ وراثَةُ الأعمامِ؟

ولعل هذا الإلحاح على مسألة الوراثة شكَّل عقدة محورية أو مفصلية أريد لها أن تكون وتنتشر من لدن العباسيين؛ وهنا ابتعدت قضية الوراثة من أن تكون مادية إلى كونها وراثية معنوية وهي خلافة المسلمين؛ والشيعية لم تنظر إلى هذه الوراثة على أنها وراثية دنيوية كما رأها الأمويون ومن بعدهم العباسيون وإنما هي في معتقدهم وراثية إلهية تعينية، بدليل أن ليس كل أبناء الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) قد حظوا بالإمامة عندهم؛ ولكن الشعراء من خصوم الشيعة ألبسوا الحق بالباطل فغيبوا الحق وأظهروا الباطل ليخدعوا به من ينخدع؛ وقد تعاملوا مع الخلافة على أساس أن العلويين يطالبون بها لأنهم من ورثة النبي محمد ﷺ من رحم ابنته فاطمة (عليها السلام)، ومن ثم فهم أي العباسيون أحق بها منهم لأن وراثتهم لها لم تكن من طريق البنات وإنما من طريق الرجال، وهذا العرف قد غلب على المجتمع العربي الذكوري فاستهوى قلوب كثير منهم وخاصة التي فيها مرض أو زيغ.

وعلى العموم فقد ردَّ أحد شعراء الشيعة على مروان بقصيدة نقض بها ما جاء به مستعملاً الوزن والقافية أنفَسها فقال<sup>(٣٠)</sup>:

لم لا يكون و إن ذاك لكائن لبني البنات وراثة الأعمام  
 للبنت نصفٌ كاملٌ من ماله والعمُّ متروكٌ بغيرِ سهامِ  
 ما للطلق وللتراث وإنَّما صلي الطليق مخافة الصمصامِ

ولا ريب أن في هذا الرد شفاء لقلوب العلويين، وهو ردُّ حجاجي حازم وفاحم لخصومهم<sup>(٣١)</sup>. والذي نريد تثبيته - بعد ذلك - من هذا الاستطراد الذي لا بدَّ منه هو القول بأن قضية إرث فاطمة عليها السلام هي قضية ذات خصوصية عالية الحساسية، ومفصلية عامة عند المسلمين جميعاً، منذ أن ألقته عليهم سلام الله عليها في المسجد النبوي، وما نتج عن ذلك من مواقف مثَّلت اتجاه أصحابها من الإيثار بالله ورسوله وما جاء به، أو الكفر بالله وما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وأصبح المسلمون فرقا، كلُّ فرقة تمثِّل موقفاً من القضية وأصحابها، فجاءت الأشعار لتمثِّل تلك المواقف، وللأسف نجد أن الأشعار التي وقفت معادية لهذه القضية تعاملت مع الزهراء وقضيتها بصورة دلَّت على إصرار في محاربتها على الرغم من البعد الزمني - وتسقيطها سياسياً؛ ومن ثمَّ انعكس هذا على تعاملهم مع اسم هذه السيدة الجليلة مكنين عنها بكنيات لا تليق بقدسيته ومنزلتها السامقة عند الله ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

على أن هذه القضية أصبحت ثيمة أساسية في بنية تلك الأشعار التي عرضت مظلومية فاطمة الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام عموماً، وكانت مفصلاً مهماً من مفاصل القوائد الفاطميات.

ويطلعنا في العصر العباسي أيضاً منصور النَّمري (ت ١٧٣هـ) أحد شعراء الشيعة في زمن الرشيد وكان يكثر من مدح أهل البيت عليهم السلام والتنديد بالأمويين والعباسيين، ومن خير ما يصور ذلك لاميته التي مطلعها<sup>(٣٢)</sup>:

شاءً من الناسٍ راتعُ هاملٌ      يعللونَ النفوسَ بالباطلِ  
تُقتلُ ذرِيَّةُ النبيِّ وير      جون جنانَ الخلودِ للقاتلِ

وذهب شوقي ضيف إلى أن الشاعر في قصيدته هذه «ينكر موقف أبي بكر وعمر من دعوى فاطمة عليها السلام إرث (فدك) زاعماً أنها ظلماها، ومطالباً بمن يثار لها من ظلمتها» (٣٣)، فهو يقول (٣٤):

مظلومة والنبيُّ والدُّها      تدير أرجاء مقلّة حافلِ  
ألا مساعير يغضبون لها      بسلة البيض والقنا الذابلِ

فصاحب الأبيات يشعرنا أن مظلومية فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وصلت حدّها من التجاسر والتطاول على مقامها الرفيع، فهو يدعو إلى الخروج، وإشهار السيف لأخذ الحق من مناوئها وغاصبي حقها. والشاعر هنا لا أجده يقصد الشيخين كما ذهب (د. شوقي) ضيف بل جاء قوله عاماً، وثورته ليست على ما مضى ولكن على ما يعيشه من واقع مزر يستحق القيام والنهوض لتغييره، فالأعداء والمناوئون لها عليها السلام ولأهل البيت عليهم السلام عموماً لا زالوا ينصبون العداً ويمعنون فيه. وقصيدة الشاعر هي في أهل البيت عليهم السلام ومديحهم والتنديد بقتل ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم عاشوراء، وفيها يعلن حبه وانتماءه لهم، وكانت قضية الزهراء عليها السلام إحدى الثيمات التي أكدها الشاعر وأعطاه أبعاداً مضافة تمثلت بالخروج المسلح لأخذ الثأر ممن غصب حقها وآلمها، وهذا انزياح جديد في القضية يسجّل لهذا الشاعر نلمسه في الأشعار الفاطميات التي جاءت من بعده.

أما عند السيد الحميري فإننا نجد ذكر السيدة الزهراء عليها السلام قد ورد في سياقات موضوعية ثلاثة، أولها ذكره لقضية زواجها بعلي عليه السلام في أشعاره الخاصة بمدح علي عليه السلام، فنراه يقول (٣٥):

والله أعطى ذا علياً كلّه	وعطاءً ربّي لم يكن محظورا
والله زوجه الزكية فاطماً	في ظلّ طوبى مشهداً محضورا
كان الملائك ثمّ في عدد الحصى	جبريلٌ يخطبهم بها مسرورا
يدعوله ولها وكان دعاؤه	لها بخير دائماً مذكورا
حتى إذا فرغ الخطيبُ تتابعت	طوبى تُساقط لؤلؤاً منشورا
وتهيلُ ياقوتاً عليهم مرّة	وتهيلُ درّاً تارة وشذورا
فترى نساء الحور ينتهبونه	حوراً بذلك يجتذنين الحورا
فالي القيامة بينهنّ هديّة	ذاك النشارُ عشيةً وبكورا

فالشاعر يوظف الموروث الحديثي في عرض تفاصيل زواج السيدة الجليلة عليها السلام في السماء، فقد روي عن علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني ملك فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني قد زوجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملأ الأعلى فزوجها منه في الأرض (٣٦).

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: ((ما أنا زوجت علياً من فاطمة ولكن الله زوجه ليلة أسري بي عند سدره المنتهى)) (٣٧). هذه التفاصيل العامة مع ما روي عن الأئمة المعصومين عليهم السلام بخصوص هذا الزواج كان محلّ عناية الشاعر الذي يفاخر الآخرين بهذا التزوج الإلهي الذي لا تستطيع العقول الجاحدة لنورانية أهل البيت عليهم السلام وروحانيتهم ومنزلتهم السامقة عند الله تعالى وملائكته أن تتصوره أو تتخيله، فيعرضه بصورة سردية رائعة مثلت إيماؤه المطلق بأئمة الميامين.

وهذه التفاصيل يعيد إخراجها الشاعر بصورة ثانية فنراه يقول أيضاً في قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين وأهل البيت (عليهم السلام):<sup>(٣٨)</sup>

نصبَ الجليل لجبرئيلٍ منبراً      في ظلّ طوبى من متون زبرجدِ  
شهدَ الملائكةُ الكرامَ وربُّهم      وكفى بهم وبربهم من شُهدِ  
وتناثرت طوبى عليهم لؤلؤا      وزمرداً متتابعاً لم يعقدِ  
وملاكُ فاطمة الذي ما مثله      في متهم شرقاً ولا في منجدِ

ويستذكر الشاعر بعد هذه الأبيات حادثة المباهلة التي كانت السيدة الزهراء (عليها السلام) طرفاً رئيساً فيها، فنراه يقول (٣٩):

وبكرن علقمة النصارى إذ عتتْ      في عزّها والباذخ المتعقدِ  
إذ قال كرّر هاتمُ أبناءكم      ونساءكم حتى نُباهلَ في غدِ  
فأتى النبيُّ بفاطمٍ ووليها      وحسين والحسن الكريم المصعدِ  
جبريل سادسهم فأكرم سادس      وأخير منتجبٍ لأفضل مشهدِ

فالشاعر حين ذكر زواج فاطمة (عليها السلام) بعلي (عليه السلام) في السماء استحضر قضية أخرى مرتبطة بها أيضاً وهي قضية المباهلة المعروفة، يدلنا على ذلك تكراره لاسمها الشريف في كلتا القضيتين.

والقضيتان في باب عرض مناقب أهل البيت (عليهم السلام) بوجه عام، وأمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) بوجه خاص. وأراد الشاعر عبر هذه المضامين أن يوصل رسالة مفادها أن أهل البيت (عليهم السلام) عموماً ورثة الله في أرضه وسماؤه، وأنهم باب الله المؤتى، وأن من تمسك بهم نجا، ومن نكر حقهم وجحد هلك، وجزاؤه جهنم خالداً فيها. وهذا السياق في عمومه هو سياق مدحي لأهل البيت (عليهم السلام).

أما السياق الثاني الذي جاء ذكر فيه السيدة فاطمة عليها السلام فهو سياق رثائي يطغى عليه الأسى والحزن، وهو عبارة عن بيتين يعرض لوصيتها عليها السلام قبيل وفاتها<sup>(٤٠)</sup>:

وفاطمٌ قد أوصتُ بأن لا يُصلِّيَا عليها وأن لا يدنوا من رجا القبرِ  
علياً ومقداداً وأن يخرجوا بها رويداً بليلٍ في سكون وفي سترِ

فالنص يعرض لوصية فاطمة الزهراء عليها السلام التي أوصتها الإمام علياً عليه السلام، وهذه الوصية تكشف عن مدى غضبها وألمها الكبير ممن اغتصب حقها في إرث أبيها عليه السلام، وحق زوجها علي عليه السلام في خلافة المسلمين، وما فعلوه منتجاسرٍ وتطاول على بيتها المقدس حتى أسقطوا جنينها خلف الباب، وقادوا زوجها عليه السلام عنوة كي يبايع من اغتصبهم حقهم. وهذه الأمور جعلت فاطمة عليها السلام توصي علياً بأن يدفنها في ستر من الليل، وأن لا يعلم مغتصبو حقها بمكان قبرها حتى يكون حجة دامغة على فعلتهم النكراء الشنيعة.

ويرجح الباحث - بسبب ما عرف عن الشاعر السيد الحميري من طول في النفس و إمكانية كبيرة في النظم، وما عرف عنه بالتصريح بمن اغتصب حقوق أهل البيت عليهم السلام - أن هذين البيتين هما جزء من قصيدة خصت الزهراء عليها السلام أو خصت الإمام علياً عليه السلام وما وقع عليه من ظلم وجور وخصص جزءاً لمصيبة زوجته فاطمة عليها السلام، وهذا المنحى ليس غريباً على توجهات الشاعر الذي يجمع فضائل أهل البيت عليهم السلام في قصيدة واحدة، ويجمع مصائبهم في قصيدة أخرى إمعاناً منه في الانتفاء العقائدي الذي كرس حياته وشعره له.

وعلى العموم لم يصل من القصيدة سوى هذين البيتين اللذين احتفظت بهما كتب التراجم الشيعية<sup>(٤١)</sup> دون غيرها، الأمر الذي ينبئ أن ما تعرضت له هذه السيدة الجليلة عليها السلام من عدوان كان محظوراً تداوله أديباً، وأن من يأت به في شعره يقتص منه،

ويمارس معه أبشع وسائل القهر والتنكيل. وهذا يقودنا إلى القول، إن ما تعرضت له بضعة الرسول ﷺ ظلَّ مكتماً عليه إعلامياً، ويحاسب كل من يتفوه به، لأنه يُعرض عروش معتصبي حقها والمتمتمين لهم والساكنين مسلكهم للترزع والانهيار، لذا يعتقد الباحث أن هذا اللون من التصريح بمظلومية الزهراء ﷺ مورس معه الحظر القسري لزم من طويل جداً، حتى إننا لا نجد له ملامح في دواوين الشعراء الشيعة في حقبة الدراسة سوى أبياتٍ قليلة لا تتناسب مع حجم الفاجعة المعروفة التي حلت بالزهراء ﷺ.

ولعل الشاعر الشيعي مُحمّل بضغوط كبيرة بمرور الأحداث والمصائب التي حلت بأهل البيت ﷺ، وبخاصة ما حدث للإمام الحسين ﷺ في واقعة الطف وما جرى عليه وعلى عياله من قتل وسبي تلك الواقعة التي «شكَّلت منعطفاً تاريخياً مهماً في حياة الشيعة بشكل خاص، وحياة المسلمين بشكل عام...»<sup>(٤٢)</sup> وقد وقف الشاعر عليها ملياً ليعيد حساباته في ظل واقع جديد اختلفت معطياته وغطى على الأحداث التي سبقتها. لذلك نرى أن قضية الطف لخصت جميع قضايا أهل البيت ﷺ وصهرتها، وعلى راس تلك القضايا قضية الزهراء ﷺ إذ أعطتها أبعاداً جديدة مضافة في ظل هذه القضية العامة التي هزّت كيان الأمة الإسلامية جمعاء. فشغلت قضية الطف بها من عمومية إسلامية وخصوصية شيعية بال الشعراء الشيعة، وجعلتهم يصدرونها أشعارهم على حساب قضايا أهل البيت ﷺ الأخرى كقضية الزهراء ﷺ التي بدت قضية جزئية -على أهميتها وعظمتها- أمام قضية سبط الرسول ﷺ العامة. ومن هنا بدأ الشعراء الشيعة يذكرون الزهراء ﷺ في ظل واقعة الطف وما جرى على ابنها الحسين الشهيد المظلوم ﷺ. ومن تلك الأشعار ما وجدناه عند السيد الحميري في السياق الثالث الذي رصد في شعره وهو ذكرها ﷺ مع مصاب ابنها الإمام الحسين ﷺ، فنراه يقول<sup>(٤٣)</sup>:

أمرر على جدث الحسين      وقل لأعظمه الزكيه  
يا أعظماً لا زلت من      وطفاء ساكبة رويّه  
فإذا مررت بقبره      فأطلّ به وقف المطيه  
وابك المطهر للمطهر      والمطهرة النقيه  
كبكاء معولة غدت      يوماً بواحدھا المنيه  
جعلوا ابن بنت نبیهم      غرضاً كما تُرمى الدرّيّه

فقد كنى عن الحسين عليه السلام وعن أبيه عليه السلام وعن أمه عليها السلام بألفاظ الطهر والطيهاره لتأكيدا أنهم سلالة طاهرة مطهرة، وهم مصداق آية التطهير التي أنزلها الله فيهم. ونجد هذا المنحى في ذكر فاطمة الزهراء عليها السلام عند ذكر ولدها الحسين عليه السلام وما جرى عليه يوم عاشوراء عند دعبل الخزاعي (ت ٢٤٦هـ) في قوله <sup>(٤٤)</sup>.

رأس ابن بنت محمدٍ ووصيّه      يا للرجالِ على قنائة يُرفَعُ  
والمسلمونَ بمنظرٍ وبمسمعٍ      لا جازعٌ من ذا ولا متخشّعُ

وهذا الذكر للسيدة الزهراء عليها السلام جاء ليلقي حُجّة انتساب الحسين عليه السلام إلى الدوحة المحمدية وإلى النسب العريق فأمه فاطمة عليها السلام بنت محمد عليه السلام نبي هذه الأمة، وأبوه علي عليه السلام وصي النبي عليه السلام من بعده، فأى انتهاك للحقوق صار بقتله على أيدي هذه الأمة التي تدعي أن نبيها محمد عليه السلام وهم على دينه ونهجه قائمون؟! ونجد عند دعبل الخزاعي في تائيته الشهيرة في رثاء أهل البيت عليهم السلام والتفجع لمقاتلهم، وما جرى عليهم، نراه يذكر فاطمة الزهراء عليها السلام ويوجه نداءه إليها بقوله <sup>(٤٥)</sup>:

أفاطمُ لو خلتِ الحسينِ مجدلاً      وقد ماتَ عطشاناً بشطّ فراتِ  
إذن للطمّتِ الخدّ فاطمُ عنده      وأجريتِ دمع العينِ في الوجناتِ  
أفاطمُ قومي يا أبنة الخيرِ واندي      نجومَ سماواتِ بأرضِ فلاةِ

والواضح أن الشاعر اصطنع مشاركة وجدانية خيالية للسيدة الزهراء عليها السلام عبر مناداتها ثلاث مرات للنظر إلى ابنها الحسين عليه السلام ومصرعه، ووصف ما يمكن أن تقوم به من لطم على الخدود وسكب للدموع؛ انه منظر مؤلم يزيد المشاعر حدّة ووجعاً ويستدر الدمع والبكاء والنحيب على حال السيدة الجليلة عليها السلام، وعلى ما جرى على ابنها الشهيد المظلوم عليه السلام؛ ويعمد الشاعر إلى توسيع نذب الزهراء فاطمة عليها السلام على تلك النجوم الخيرة التي سقطت في أرض كربلاء وفلواتها من أولاد الحسين عليهم السلام وإخوته وصحبه الغر الميامين الذين قدموا أنفسهم قرابين دون الحسين عليه السلام. ونستشف من وراء توظيف الشاعر لاسم السيدة فاطمة عليها السلام جملة من الأمور أهمها:

١. إيمان الشاعر الشيعي بالحضور الروحي لائتمته في مجالس العزاء الخاصة بأهل البيت عليهم السلام، وتصورهم فيها مشاركين بالعزاء والتفجع.
٢. إن مظلومية الحسين عليه السلام وما جرى عليه وعلى أهل بيته وأصحابه في يوم عاشوراء هي امتداد لمظلومية فاطمة الزهراء عليها السلام وما جرى عليها من مصائب أودت بحياتها المقدسة.
٣. أن الأمة التي اشتركت أو قامت باغتصاب حقوق فاطمة عليها السلام وما فعلوه بها هي الأمة نفسها التي قتلت ابنها في واقعة الطف.
٤. إن وقوع الشاعر الشيعي تحت طائلة المظلومية المتأتمية من مظلومية من آمن بهم وجعلهم أئمة له وقادة جعلته يصنع من دمعه وصبره ثورة في الخفاء تقض مضجع الظالمين وتؤرقهم، وتهدهم في الوقت نفسه بقيام الموعود من أهل البيت عليهم السلام ليقتنص من الجناة والظالمين.

ويمكن أن نسجل أمراً جديراً بالتسجيل وهو أن هذا التوظيف لاسم السيدة فاطمة عليها السلام من لدن الشاعر يعدُّ جديداً في تطور القصيدة الخاصة بأهل البيت عليهم السلام

عموماً والقصيدة الطفية على وجه الخصوص، ومن ثم ستكون نواة في بنية القصيدة الفاطمية، وهذا ما سنلمسه في أشعار الشيعة فيما بعد. وفي غير هذا السياق نجد لدعل الخزاعي قصيدة في مدح آل الرسول ﷺ وفيها يذكر تزويج الزهراء ﷺ من علي ﷺ في السموات العلى فهو القائل<sup>(٤٦)</sup>:

صهر الرسول على الزهراء زوجهُ      الله العليُّ بها فوق السمواتِ  
فأثمرت خير أهل الأرض بعدهما      أعني الشهيدين سادات البرياتِ

ثم يقول ذاكراً كيف انتهى بهما المطاف:

إذا سقى حسناً سماً معاوية أو      على حسين يزيد شناً غارات

ثم يذكر سبب هذا العداء وبدايته من الذين ظلموا أمهما الزهراء ﷺ:

لذاك ممن بدا في ظلم أمهما      حتى قضت غضباً من ظلمها العاتي  
وقاد شيخهما قسراً لبيعة من      قد كان بايعه في ظل دوحاتِ  
ظلامه لم تزل تستنُّ إثرهم      لم تُثنَّ عن سالف منهم ولا آتِ

فلحظ الشاعر قد دمج مدح أهل البيت ﷺ ورتاءهم في هذه الآيات ولا غرابة عند الشاعر الشيعي عندما سلك هذا المنحى، فهو ينظر إليهم نظرة كلية غير متجزئة، فهو يجلهم ويمدحهم وفي الوقت نفسه يذكر ما وقع عليهم من ظلم وجور وقتل. وهنا يذكر الشاعر تزويج فاطمة ﷺ من الإمام علي ﷺ برعاية إلهية فوق السموات، وقد أثمر هذا الزواج المقدس الحسن والحسين ﷺ سيدي شباب أهل الجنة والأرض، ولكنه كنى عنها بالشهيدتين، مما استدعى أن يذكر كيف استشهدا؛ فواحد في السم وواحد من يزيد، وأراد أن يبحث عن سبب استشهادهما الحقيقي فرجع إلى الوراء قليلاً ليجد السبب فيمن ظلم أمهما الزهراء ﷺ، وغضب حقها،

وقضت وهي غاضبة عليه لما قام به من استلاب للخلافة وبيعته من زوجها علي عليه السلام الذي بوع في غدِير خَم الموقع الذي كنى عنه بـ ((في ظل دوحات)). وهذه الظلامه بقيت ولا زالت بل أصبحت سُنَّة متبعة من سالف إلى آت. ولعل هذه الفلسفة التي أقرها الشاعر هي مما تعارف عليه الشيعة في أدبياتهم، والمعنى أن ظلامه الشيعة بدأت يوم استلب واعتصب حق علي عليه السلام في خلافة المسلمين، وتنكر كثير من المسلمين لبيعتته في واقعة يوم الغدير المعروفة، وجاءت المطالبة بها من لدن فاطمة عليها السلام التي زاد عليها استلابهم لحقوقها في إرث أبيها عليه السلام، وفعلوا ما فعلوا من جراء ذلك. وإذا انتقلنا للشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) فإننا نجد يذکر فاطمة عليها السلام عندما يذکر مصيبة الحسين عليه السلام، فنراه يقول <sup>(٤٧)</sup>:

شغل الدموع عن الديار بكاؤنا لبكاءِ فاطمة على أولادها

وفي أخرى يقول <sup>(٤٨)</sup>:

يوم حدا الطعن فيه لابن فاطمة سنان مطرد الكعبين ممطور

وفي قصيدته المشهورة (كربلاء لازلت كرباً) نراه يقول موجهاً خطابه إلى

الرسول صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام <sup>(٤٩)</sup>:

يا رسول الله يا فاطمة يا أمير المؤمنين المرتضى

ثم يستفهم بقوله:

كم رقاب من بني فاطمة عرقت ما بينهم عرق المدى

ويقول فيمن يبكي قتيل الطف <sup>(٥٠)</sup>:

ميتٌ تبكي له فاطمة وأبوها وعلى ذو العلي

وقد مرَّ بنا ما اصطنعه دعبل وغيره من شعراء الشيعة في هذه المشاركات الوجدانية التي تزيد من ألم الفاجعة وحرقتها في قلوب المؤمنين، وكأنه أصبح سنَّة فنية موضوعية متعارفة عند هؤلاء الشعراء. ولكننا نجد عند الشريف الرضي ملهماً جديداً يضاف إلى تطور القصائد الفاطميات وهو افتخاره بنسبه العلوي الذي ينحدر منه فنراه يقول في إحدى قصائده الطفية<sup>(٥١)</sup>:

صبغ القلبُ حبكم صبغة الشيب      وشيبي لولا الردى لا يحولُ  
أنا مولاكم وإن كنتُ منكم      والدي حيدرٌ وأمِّي البتولُ

فهو «يلهج بحب أهل البيت عليهم السلام مذكراً بإخلاصه التام لهم، وقد صبغ حبهم قلبه صبغة الشيب دلالة على عظمه، وأنه لا يفارقه حتى بالموت، وهو عبد لهم مطيعٌ وإن كان ينحدر منهم (دلالة على الطاعة التامة لهم)، فوالده حيدرٌ كناية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّه البتول كناية عن فاطمة عليها السلام». ثم يقول: «إن الناس إذا أدركوا غاية الفخر كان أسبقهم وأرفعهم منزلة من كان جده الرسول صلى الله عليه وآله»<sup>(٥٢)</sup> وهنا قصد نفسه:

وإذا الناس أدركوا غاية الفخرِ      شأهم من قال جدي الرسولُ

ولعل هذه الطريقة التي أوجدها الشريف الرضي في التعامل مع أهل البيت عليهم السلام، قد أغرت الشعراء فيما بعد أن يسلكوا هذه الطريقة؛ فالانتماء لهم والحب الحقيقي الذي يكنه محبهم ومتبعهم جديرٌ أن يفتخر به، وان يعلن على الملأ، وهنا تساوى من كان متصلاً بهم بصلة الدم أو متصلاً بهم بصلة العقيدة، فالشاعر الشيعي بوجه عام ينظر إلى أئمة على أنهم المبعوثون رحمة للعالمين، وأنهم قادة الأمة ومصايح الهداية، والنور الذي ينبغي أن يتبع لان النجاة في اتباعه، وان من عقائده ولايتهم وبغض أعدائهم من الجنة والناس أجمعين.



توجه خطابه له لتعرض ما جرى على ولديها الحسن والحسين عليهما السلام من مصاب أليم.  
يقول:

وأقبلت الزهراء قدس تربها      تنادي أباهما والمدامع سجم  
تقول أبي هم غادروا ابني مُهَبَّه      لما صاغه قينٌ وماسجٍ أرقم  
سقوا حسناً للسمِّ كأساً رويَّة      ولم يقرعوا سنّاً ولم يتندّموا  
وهم قطعوا راسَ الحسين بكر بلا      كأثمّ قد أحسنوا حين أجموا

ثم يقول:

فخذ منهم ثاري وسكّن جوانحاً      وأجفانَ عينٍ تستطير وتسجم  
أبي! وانتصر للسبِّ واذكر مصابه      وغلّته والنهرُ ريانُ مفعم  
وأسر بنيه بعده واحتماهم      كأثمّ من نسلٍ كسرى تغنّموا

إن هذه الأبيات تذكرنا بما صنعه من قبل الشاعر دعبل الخزاعي ولكن الشاعر هنا فصل القول أكثر وأعطى للمصيبة ومشاركة فاطمة عليها السلام فيها أبعاداً جديدة مضافة مؤثرة في نفس المتلقي وقد استدرت دمه ونحيبه. ويوجه الشاعر خطابه نحو متلقيه في ختام قصيدته، ليرسل حكمة بالغة، وعظة تجعله يتفاعل، ويسكب الدموع في حق الحسين عليه السلام ومصيبته العظيمة ويوجه الشاعر خطابه نحو المغرور ليذكره بغضب الله لبنت رسول الله صلى الله عليه وآله على الذين فعلوا فعلتهم النكراء في حقّ بنينا، أين أصبحوا وما كان مصيرهم ومصير ظلمهم وإجرامهم فهو يقول:

قضى الله أن يعصى عليهم عبيدهم      لتشقى بهم تلك العبيد وتنقم  
هم القوم أما سعيهم فمغيّب      مضاع وأما دراهم فجهنم  
فيا أيها المغرورُ والله غاضب      لبنتِ رسولِ الله أين تيمّموا؟

ويختتمها بقوله:

قفوا ساعدونا بالدموع فإنها لتصغر في حق الحسين ويعظم

هكذا نجد ذكر فاطمة عليها السلام قد تعلق بذكر الحسين عليه السلام ومصيبته في واقعة الطف، وتباين الشعراء في توظيف ذكر الزهراء في قصائدهم الطفوية، فمنهم من عرج عليها بشكل عارض، ومنهم من جعل لها دوراً وجدانياً في تلك الواقعة استوحاه الشاعر من ألم مصابها عليها السلام ومن ألم مصاب ابنها الحسين وأهله بيته عليهم السلام، ومزج الشاعر بين آلامها بصورة تستجلب الدمع والنحيب.

### ... الخاتمة ...

بقي أن نقول إن هذا ما أمكننا استكشافه في مسيرة الشعر العربي الذي تعلق بالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حتى القرن السابع الهجري ولا ريب في أن تطور الشعر الخاص بالسيدة الجليلة عليها السلام لم يقتصر على هذه المحاور المرصودة، وإنما بدأ يظهر عليها ثيمات جديدة وظَّفها الشاعر الشيعي في قصائده الخاصة بأهل البيت عموماً أو تلك التي خصَّت الحسين عليه السلام حتى ظهرت القصيدة الفاطمية بشكل اقترَب كثيراً من الثيمات المرصودة في هذا البحث بحيث نجدها في قصيدة واحدة أو يختار الشاعر من تلك الثيمات بما يتناسب وانفعاله الشعري وخزينه الثقافي والمعرفي وما مثلته تلك السيدة الجليلة عليها السلام في فكره ووجدانه وعقيدته، وهذا ما سيوضحه الباحث ان شاء الله تعالى في بحث يستكمل ما بدأه.

١. أشار مقوم البحث مشكوراً الى وجود كتاب بخمسة أجزاء تحت هذا المصطلح (الفاطميات) مشاعر الوفاء في قصائد الزهراء عليها السلام للخطيب علي حيدر المؤيد، ط ١، دار العلوم، بيروت لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. وعند العثور عليه تبين انه جمعُ لما قيل من قصائد وأشعار في حق الزهراء عليها السلام، ولم أجد الكاتب في مقدمته قد تناول المصطلح بهذا التقين الذي ذكرته، فضلاً عن عدم التأصيل له والبحث عن جذوره وبدايات نشأته، والثيمات الموضوعية والفنية التي اشتملت عليها الأشعار والقصائد الفاطميات، وهو ما قام به هذا البحث.
٢. وكذلك مصطلح (الزينييات) نسبة إلى السيدة زينب بنت فاطمة وعلي عليهما السلام.
٣. ذكر النسابون انه ولده من الفواطم أربع فواطم قرشية وقيسيتان وأزدية فأما القرشية فولدته من أبيه عبد الله بن عبد المطلب، فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم والقيسيتان أم عمرو بن عائذ بن عمران وهي فاطمة بنت ربيعة بن عبد العزى بن رزام بن

- بكر بن هوزان وأمها فاطمة بنت الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور و الأزديّة أم قصي بن كلاب وهي فاطمة بنت سعد بن سيل. تاريخ اليعقوبي: ١/١٥٣.
٤. والفواطم هن: فاطمة الزهراء بنت محمد عليه الصلاة والسلام، وفاطمة بنت الحمزة، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب.
٥. كشف الغمة ٢/ ٩٠.
٦. صحيح البخاري كتاب الفضائل باب مناقب فاطمة: ٣/ ١٣٧٤، خصائص الإمام علي عليه السلام للنسائي: ١٢٢، الجامع الصغير: ٢/ ٦٥٣ ح ٥٨٥٨، كنز العمال: ٣/ ٩٣٩٧ / منتخب بهامش المسند: ٥/ ٩٦، إسعاف الراغبين: ١٨٨، ذخائر العقبى: ٣٧، ينابيع المودة: ٢/ ٧٩٥٢.
٧. سنن الترمذي باب فضل فاطمة: ٣/ ٢٤٠، كنز العمال: ١٣/ ٩٣، منتخب كنز العمال بهامش المسند: ٥/ ٩٦، الصواعق المحرقة الفصل الثالث: ١٩٠.
٨. الصواعق المحرقة: ١٧٥، مناقب الإمام علي عليه السلام لابن المغازلي: ٣٥١.
٩. بحار الأنوار: ٤٣/ ١١٥.
١٠. المدائح النبوية في الادب العربي: ٣٩.
١١. العلوي: مصطلح يطلق على الشخص المخلص في حبه واتتمائه إلى الإمام علي ولفاطمة الزهراء عليها السلام أو المنتسب إليها. ينظر الطفيات المقولة والإجراء النقدي: ١٧.
١٢. المدائح النبوية في الأدب العربي: ٤١.
١٣. م.ن: ٤١-٤٢.
١٤. المدائح النبوية: ٥٩.
١٥. م.ن: ٦٠.
١٦. م.ن.
١٧. صحيح الترمذي: ٢/ ٣٠٨.
١٨. المدائح النبوية: ٦٠-٦١..
١٩. ديوان الفرزدق: ٥١١.
٢٠. تاريخ الطبري: ٣/ ٤٨٩.
٢١. شرح هاشميات الكميت بن زيد الاسدي: ٢٠٢. وفي البيت الأول رواية ثانية.
٢٢. شرح هاشميات الكميت بن زيد الاسدي: ٦٢-٦٥. وبكيل وأرحب: حيان من همدان، وهي كهلانية قحطانية. يجابر: قبيلة من مراد وهي كهلانية. عبد القيس من جديلة من أسد، ربعة وهي عدنانية. مؤرّب: تام.

٢٣. أدب السياسة في العصر الأموي: ٢١٢.
٢٤. الاحتجاج: ١/١٣٨.
٢٥. بنية الحجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء (عليها السلام)، مجلة العميد، السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد التاسع جمادى الاولى ١٤٣٥ هـ - اذار ٢٠١٤ م: ٩٧-٩٨.
٢٦. م.ن: ١٠٢.
٢٧. العصر العباسي الأول: ٢٩٩.
٢٨. أدب السياسة في العصر الأموي: ٢١٢.
٢٩. شعر مروان بن أبي حفصة: ١٠٤.
٣٠. أدب السياسة في العصر الأموي: ٢١٣.
٣١. هذا الرد قائم على أن البنت تراث نصف ثروة أبيها في حين أن أخاه لا يرثه في حالات عدة، وفي البيت الأخير تنديد بالعباس عم النبي ﷺ، لأنه كان قد أسر مع المشركين يوم بدر ثم افتدى نفسه وهو من الطلقاء. ينظر: م.ن.
٣٢. شعر منصور النمري: ١٢١.
٣٣. العصر العباسي الأول: ٣١٧.
٣٤. شعر منصور النمري: ١٢٣.
٣٥. ديوان السيد الحميري: ١٠٢.
٣٦. ذخائر العقبى للمحب الطبري: ٣١.
٣٧. هذا النص من كلام طويل مختصره «هبط جبرئيل عليه السلام... فقال: يا أحمد، إن الله تعالى يقرؤك السلام، ويقول: قم إلى علي بن أبي طالب، فإن مثله مثل الكعبة يُحج إليها، ولا تحج إلى أحد، إن الله تعالى أمرني أن أمر رضوان خازن الجنة أن يزين الأربع جنان، وأمر شجرة طوبى وسدرة المنتهى أن تحملا الحلي والحلل، وأمر الحور العين أن يتزين، وأن يقفن تحت شجرة طوبى وسدرة المنتهى، وأمر ملكاً من الملائكة، يقال له راحيل وليس في الملائكة أفصح منه لساناً، ولا أعذب منطقاً، ولا أحسن وجهاً، أن يحضر إلى ساق العرش، فلما حضرت الملائكة والملك أجمعون، أمرني أن أنصب منبراً من النور، وأمر راحيل ذلك الملك أن يرقى، فخطب خطبة بليغة من خطب النكاح، وزوج علياً من فاطمة بخمس الدنيا لها ولولدها إلى يوم القيامة، وكنت أنا وميكائيل شاهدين، وكان وليها الله تعالى، وأمر شجرة طوبى وسدرة المنتهى أن تنثرا ما فيها من الحلي والحلل والطيب، وأمر الحور أن يلقطن ذلك، وأن يفتخرن به إلى يوم القيامة، وقد أمرك الله أن تزوجه بفاطمة في الارض،...» ينظر: دلائل الإمامة للطبري: ٨٢. والبحار: ٤٣/١٠٩ و٣/١٢٤.

٣٨. ديوان السيد الحميري: ٨٧-٨٨.  
٣٩. م.ن: ٨٨-٨٩.  
٤٠. م.ن: ١١٨.  
٤١. خرّج محقق ديوان السيد الحميري هذين البيتين من المناقب: ٤١٢/٣، واعيان الشيعة: ٣ / ٤٢٢.  
٤٢. الطففيات المقولة والاجراء النقدي: ١٥.  
٤٣. ديوان السيد الحميري: ٢٦.  
٤٤. ديوان دعبل الخزاعي: ١٢٧.  
٤٥. م.ن: ٦١.  
٤٦. ديوان دعبل الخزاعي: ٧١.  
٤٧. ديوان الشريف الرضي: ٣٦١.  
٤٨. م.ن: ٤٨٨/١.  
٤٩. م.ن: ٤٦/١.  
٥٠. م.ن: ٤٧/١.  
٥١. م.ن: ١٩٠/٢.  
٥٢. الطففيات المقولة والاجراء النقدي: ٦٣.  
٥٣. ديوان تميم بن المعز الفاطمي: ٤٥٥-٤٥٦.  
٥٤. نفح الطيب: ٦٩/٥.  
٥٥. مأساة الحسين عليه السلام في الاندلس، مجلة المناهل، العدد ١٤، السنة السادسة ١٩٧٩م: ١٠٢.

## المصادر والمراجع

١. الاحتجاج، ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرساني، منشورات النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
٢. أدب السياسة في العصر الأموي، د. احمد محمد الحوفي، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ط، ت.
٣. إسعاف الراغبين بذيل نور الأبصار، للشيخ محمود بن علي الصّبان. دار الفكر، دمشق.
٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٥. بنية الحجاج من منظور لسانيات الخطاب في خطبة الزهراء عليها السلام، فاطمة كريمسن، مجلة العميد، السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد التاسع، جمادى الاولى ١٤٣٥هـ / آذار ٢٠١٤م.
٦. تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٩م.
٧. تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار العارف، مصر ١٩٦٦م.
٨. تاريخ يعقوبي، تأليف أحمد بن يعقوب بن وهب المعروف بـ (اليعقوبي) تحقيق: عبد الأمير المهنا، طباعة ونشر مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٩. الجامع الصغير من حديث البشير النذير، لجلال الدين السيوطي. تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دمشق.
١٠. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي. دار الكتاب العربي، بيروت.
١١. دلائل الامامة، ابو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، ط٢، منشورات مؤسسة الاعلامي للمطبوعات ١٩٨٨م.
١٢. ديوان السيد الحميري، شرحه وضبطه وقدم له ضياء حسين الاعلامي، ط١، منشورات مؤسسة الاعلامي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
١٣. ديوان الشريف الرضي، دار صادر ودار بيروت، د.ط.ت.
١٤. ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: الاستاذ علي فاعور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٥. ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م.
١٦. ديوان دعبل الخزامي، شرحه وضبطه وقدم له ضياء حسين الاعلمي، ط١، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
١٧. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، لمحب الدين الطبري. مؤسسة الوفاء، بيروت.
١٨. سنن الترمذي، تحقيق ناصر الدين الألياني، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
١٩. شرح هاشميات الكميت بن زيد الاسدي بتفسير أبي رياش احمد بن إبراهيم القيسي، تحقيق د. داود سلوم و د. نوري حمودي القيسي، ط٢، عالم الكتب ودارالكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٢٠. شعر مروان بن أبي حفصة، جمع وتحقيق: د. حسين عطوان، ط٣، دار النشر: دار المعارف.
٢١. شعر منصور النمري، جمع وتحقيق: الطيب العشاش، الناشر: دار المعارف للطباعة، دمشق ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
٢٢. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق الدكتور مصطفى البغا دار العلوم الإنسانية، دمشق.
٢٣. الصواعق المحرقة، لأحمد بن حجر الهيثمي المكي. تحقيق عبد الوهاب اللطيف مكتبة القاهرة ت مصر.
٢٤. الطفيات المقولة والإجراء النقدي، ط١، صادرة عن العتبة الحسينية، قسم الشؤون الفكرية والثقافية تحت رقم (٧١)، والمطبوع في مطابع مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.
٢٥. كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي، ط٢، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٩٨٥م.
٢٦. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي الهندي. دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند.
٢٧. مأساة الحسين في الأندلس، د. عبد السلام المهراس، مجلة المناهل، العدد الرابع عشر، السنة السادسة ١٩٧٩م.
٢٨. المدائح النبوية، د. محمود علي مكي، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجان، سلسلة أدبيات ١٩٩٩م.
٢٩. المدائح النبوية في الأدب العربي، د. زكي مبارك، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
٣٠. مناقب الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، لأبي الحسن علي بن محمد الشافعي الشهير بابن المغازلي من منشورات المكتبة الإسلامية.

٣١. منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.
٣٢. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ) تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.
٣٣. ينابيع المودة لسليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق سيد علي جمال أشرف.